العدد الثالث

ذو الحجـــــة : (١٤٢٧هـ) يناير(٢٠٠٧م)

بلاد الشام بين قدسية الأرض وأسباب النصر

□ منظر عام لساحة المسجد الأقصى من أعلى قبة الصخرة

□ مجلة بيت المقدس للدراسات

8 بلاد الشام...بين قدسية الأرض وأسباب النصر

□ أسرة التحرير

بلاد

الشام بلاد طيبة مباركة ، ورد في شأنها آيات محكمة في كتاب الله ، وأحاديث صحيحة في سنة رسول الله ﷺ ، وآثار موقوفة على الصحابة وكبار التابعين ومن دونهم ، فهي مهد الرسالات السماوية ، ومحل لدعوات رسل الله تعالى .

وحين كان يتحدث المؤرخون والرواة القدامى عن الشام وأرضها كانوا يقصدون بذلك الرقعة التي تشغلها الآن سوريا ولبنان والأردن وفلسطين ، تلك كانت بلاد الشام على مدى تاريخ طويل ، كما قال ابن الفقيه الهمداني : «أجناد الشام أربعة : حمص ودمشق وفلسطين والأردن» ، وفتوح الشام ابتدأها خليفة رسول الله ﷺ «أبو بكر» الصديق رضي الله عنه واستكملت في زمن أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه .

أجناد الشام أربعة : حمص ودمشق وفلسطين والأردن»، وفتوح الشام ابتدأها أبو بكر الصديق خليفة رسول الله ﷺ

جهاد الصحابة في بلاد الشام

بعد وفاة رسول الله ﷺ واستقرار الخلافة للصديق أبي بكر رضي الله عنه خليفة رسول الله ﷺ حرص الصديق رضي الله عنه ، بعد الانتهاء من حرب الردة أن تكون ديار الشام - ديار المسجد الأقصى - من أول البلاد المفتوحة ، فوجّه لها أربعة جيوش ، وعقد ألويتها لأربعة من كبار القادة ، وهم : عمرو بن العاص لفلسطين ، وشرحبيل بن حسنه للأردن ، ويزيد بن أبي سفيان للبلقاء ، وأبو عبيدة بن الجراح لدمشق .

وأمر خالد بن الوليد رضي الله عنه - وكان بالعراق ولم تفتح بعد - أن

●●●

يلحق بالجيوش ، المتجه إلى بلاد الشام لمساندتها ، وقد عقد ابنُ عساكر في تاريخ دمشق (2/ 64-68) باباً بعنوان «ذكر اهتمام أبى بكر الصديق رضي الله عنه بفتح الشام وحرصه عليه» ، ساق جملة من المرويات تبين اهتمام أبي بكر بفتوح الشام ، وأن هذا الأمر كان يشغله ويفكر فيه ، وشاور كبار الصحابة في هذا الأمر ، ورأى منهم العزيمة على ذلك ، واستنفر لفتوح الشام كافة المسلمين ، وأرسل لخالد بن الوليد رضي الله عنه بعد أن فتح الله على المسلمين القادسية وجلولاء من أرض العراق فأمره أن يمد جيوش المسلمين بالشام وطلب منهم العجلة في ذلك وقال : «فو الله لقرية من قرى الشام يفتحها الله على المسلمين أحب إليّ من رستاق عظيم من رساتيق العراق» .

وكان الخليفة أبو بكر في حياته يرجو أن تكون مدينة بيت المقدس في حيازة المسلمين ، وجعل هدف الجيش الذي يقوده عمرو بن العاص فلسطين وإيلياء وكانت الناس تسمع توجيه أبي بكر لعمرو (عليك بفلسطين وإيلياء) .

كان أبو بكر في حياته يرجو أن تكون مدينة بيت المقدس في حيازة المسلمين، وجعل هدف الجيش الذي يقوده عمرو بن العاص فلسطين وإيلياء

●●●

وبعد مبايعة عمر بن الخطاب رضي الله عنه خليفة للمسلمين- بعد وفاة خليفة المسلمين الأول أبي بكر الصديق - ولى عمر رضي الله عنه أبا عبيده بن الجراح على الجيش والشام . وبعد فتح دمشق بعث أبو عبيده بالفتح إلى عمر ، ثم فتح بعد دمشق بيسير حمص وحماة واللاّذقية وطرطوس وحلب وإنطاكية .

وأوعز عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - بعد فتح الشام إلى أبي عبيدة أن يزحف إلى القدس ، فلبى أبو عبيدة أمر الخليفة ، واستدعى سبعة مقاديم الجيش ، فعقد لكل منهم راية ، ضاماً إليه خمسة آلاف مقاتل ، وأمرهم بالمسير إلى البيت المقدس . ولما وصل أبو عبيدة إلى الأردن ، بعث الرسل

إلى أهل «إيلياء» ، وبعث معهم برقية لأهلها في عام 15هـ - 636 م .

وأمر جيشه بالمسير إلى البيت المقدس ، فحاصروها شهوراً إلى أن تقدم مسؤول المدينة البطريرك «طفرونيوس» بنداء للمسلمين يعلن فيه استعداده لتسليم المدينة على شرط حضور خليفة المسلمين لتسليم مفاتيحها وذلك لعلم النصارى بصفات الرجل الذي سيفتحها ، وفعلاً دخلها الفاروق سنة 15 هـ فاتحاً بعد توقيع الاتفاقية المعروفة بالعهدة العمرية .

متى قسمت بلاد الشام؟!

ولم يتم تقسيمها سياسياً إلى دول أربع إلا بفعل الاستعمار في أعقاب الحرب العالمية الأولى ، وتطبيق اتفاقية (سايكس بيكو) على بلاد الشام ، وفرض الانتداب الفرنسي على شمال الشام فقسمه إلى كيانين هما : سوريا ولبنان ، وفرض الانتداب البريطاني على جنوبه فقسمه إلى كيانين هما : الأردن فلسطين ، وأصبح لكل كيان جواز مرور وحدود ودستور وأعلام .

لم يتم تقسيم بلاد الشام سياسياً إلى دول أربع إلا بفعل الاستعمار في أعقاب الحرب العالمية الأولى، وتطبيق اتفاقية 'سايكس بيكو'

اهتمام علماء الإسلام ببلاد الشام

واهتمام سلفنا الصالح من علمائنا الأعلام ، بهذه الأرض المباركة واضح جلي ؛ فكثرت مؤلفاتهم ومصنفاتهم التي صنفت في فضائل هذه البلاد وأهميتها ، والحض على الهجرة إليها ، لما ورد في فضائلها في كتاب الله ، وسنة سول الله .

فكانت بلاد الشام والقدس وما زالت موضع اهتمام علماء المسلمين ، وما كتبه علماء المسلمين في فضائل الشام في القرون الأولى وما تلاها لدلالة على مكانتها ، وما زالت إلى اليوم تدرس وتحقق تلك المخطوطات والتي جرى عليها من الدراسات الإسلامية والدراسات ذات الصبغة العالمية ما لم

يجرِ على أية بقعة إسلامية أخرى ؛ والتيْ منها :«فضائل الشام وفضل دمشق» لأبي حسن علي بن محمد الربعي المالكي المتوفى سنة (444هـ) و«الخير التام في حدود الأرض المقدسة والشام» للتَّمْرَتاشي ، و«مديح أهل الشام» للهيثم بن عدي المتوفى سنة (207 هـ) ، و «فضائل الشام» و «فرط الغرام إلى ساكني الشام » للسمعاني و «ترغيب أهل الإسلام بسكنى الشام» للعز بن عبد السلام المتوفى سنة (660هـ) و «فضائل الشام» محمد ابن عبد الهادي المتوفى سنة (744هـ) تلميذ شيخ الإسلام ابن تيمية ، و«فضائل الشام» للحافظ ابن رجب ، و«فضائل بيت المقدس والخليل وفضائل الشام» لأبي المعالي المشرف بن المرجّي بن إبراهيم المقدسي المتوفى سنة (492 هـ) . و«مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام» لشهاب الدين أبي محمود أحمد بن محمد بن سرور المقدسي المتوفى سنة (765هـ) ، و «فضائل بيت المقدس» لضياء الدين المقدسي ، و«الإعلام بسن الهجرة إلى بلاد الشام» للبقاعي ، و«حدائق الإنعام في فضائل الشام» لابن عبد الرزاق الدمشقي المتوفى سنة (1138هـ) ، و«الروضة البهيّة في فضائل دمشق المحميّة» لمحمد عز الدين عربي كاتب الصيادي ، و «تحفة الأنام في فضائل دمشق والشام» لابن الإمام ، و «الروض البسّام في فضائل الشام» للطرابلسي الأفيوني ، و«تحفة الأنام في فضائل الشام» وللبصراوي المتوفى سنة (1015هـ) ،و «فضائل الشام» و «فضائل الشام ودمشق» لعماد الدين بن محمد الحنفي المتوفى سنة (920)هـ . . .

وصف الله تعالى الشام في كتابه الكريم بالأرض المباركة والتي بارك فيها للعالمين ..

●●●

بلاد الشام في كتاب الله تعالى

جاء ذكر بلاد الشام في كتاب الله تعالى ، الأرض المباركة والتي باركها للعالمين . قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - في مقدمة كتابه «مناقب الشام وأهله» : ثبت للشام وأهله مناقب بالكتاب والسنة وآثار

العلماء ، وهي أحد ما اعتمدته في تحريضي للمسلمين على غزو التتار ، ولزوم دمشق ، والنهي عن الفرار إلى مصر . . .» . والآيات الكريمة التي جاءت في بركة أرض الشام نذكر منها :

قوله تعالى :﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطاً إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ (الانبياء :71) ؛ قال الحسن : أن الأرض التي باركنا فيها : (الشام ، وروي ذلك عن مجاهد ، وابن زيد ، وابن جريج) كما نجى الله تعالى إبراهيم ولوطا إلى الأرض المباركة واختار فلسطين من بلاد الشام . قال الشيخ السعدي – رحمه الله – في تفسيره للآية :« أي الشام . . . ومن بركة الشام أن كثيراً من الأنبياء كانوا فيها ، وأن الله اختارها مهاجراً لخليله وفيها أحد بيوته الثلاثة المقدسة وهو بيت المقدس» .

المسجد الأقصى مبارك بنص القرآن الكريم

والمسجد الأقصى في أرض باركها الله تعالى ، قال تعالى :﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الاسراء :1)

ومن بركته أن فضله الله على غيره من المساجد سوى المسجد الحرام والمسجد النبوي

قيل : لو لم تكن له فضيلة إلا هذه الآية لكانت كافية ، وبجميع البركات وافية ، لأنه إذا بورك حوله ، فالبركة فيه مضاعفة . ومن بركته أن فُضل على غيره من المساجد سوى المسجد الحرام ومسجد الرسول ﷺ ؛ فالمسجد الأقصى وما حوله مما يحيط به من بلاد كلها مباركة . قال ابن تيمية – رحمه الله – والبركة تتناول البركة في الدين ، والبركة في الدنيا وكلاهما معلوم لا ريب فيه .

●●●

وأمر موسى عليه السلام قومه بدخول الأرض المقدسة لكنهم امتنعوا : ﴿يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على

أدباركم فتنقلبوا خاسرين﴾ ؛ وبلاد الشام ميراث الصالحين . .قال تعالى :﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ (الأعراف : 137) ؛ فسرت الأرض بأرض الشام .

وأجرى الله سبحانه وتعالى الريح لسليمان عليه السلام إلى الأرض المباركة قال تعالى : ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ﴾ (الأنبياء :81) ؛ قال ابن جرير الطبري «تجري الريح بأمر سليمان إلى الأرض التي باركنا فيها ، يعني : أنها الشام ، وذلك أنها كانت تجري بسليمان وأصحابه إلى حيث شاء سليمان ، ثم تعود به إلى منزله بالشام ، فلذلك قيل : «إلى الأرض التي باركنا فيها» .

وقال تعالى : ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ * وَطُورِ سِينِينَ * وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ (التين :1-3) ، ذكر بعض المفسرين أن المقصود بالتين : بلاد الشام ، والزيتون : بيت المقدس .

ذكر الله تعالى بلاد الشام والأرض المقدسة، بالبركة وجعلها مبوأ صدق لبني إسرائيل من قبل

وقال سبحانه : ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً﴾(سبأ : 18) ؛ أي : قري بلاد الشام المتاخمة لقري اليمن ، كذلك ذكر الله تعالى - عز وجل - بلاد الشام والأرض المقدسة ، وجعلها مبوأ صدق ، قال تعالى :﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ﴾ (يونس : 93) ، قال ابن كثير : «هو بلاد مصر والشام مما يلي المقدس ونواحيه» ، وقال الطبري عن قتادة : «بوأهم الله الشام وبيت المقدس» .

بلاد الشام في أحاديث المصطفى ﷺ

جاء في الصحيح من كتب السنة أحاديث كثيرة في فضل «بلاد الشام» نذكر منها :

●●●

● الوصية بسكنى الشام :

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : «سَتَخْرُجُ عليكم في آخرِ الزَّمان نَارٌ من حَضْرَ مَوت قبلَ يوم القيامة تَحْشُرُ الناس» قالوا : يا رسول الله ! فما تأمرنا؟ قال : «عليكم بالشام» رواه الترمذي وصححه الألباني .

وعن عبدالله بن حَوَالة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «سَتُجَنّدون أجناداً مجندة : جُنداً بالشام ، وجُنداً بالعراق ، وجُنداً باليمن » ، قال عبدالله : فقمت فقلت : خرْ لي يا رسول الله ! فقال :« عليكم بالشام ، فَمن أَبَي ، فَليلْحَق بيمنه ، ولَيَستَقِ من غُدره ، فإنَّ الله – عز وجل – قد تكفل لي بالشام وأهله » رواه أبو داود وصححه الألباني .

ووصى النبي ﷺ بسكنى الشام :«عليك بالشام فإنها خيرة الله في أرضه ، يجتبي إليها خيرته من عباده» . رواه أبو داود وأحمد ، بسند صحيح .

وصى النبي ﷺ بسكنى الشام: «عليك بالشام فإنها خيرة الله في أرضه، يجتبي إليها خيرته من عباده»

● عقر دار المؤمنين بالشام :

قال رسول الله ﷺ :« ولا تزالُ من أمُتي أمّة يقاتلُونَ على الحقِّ ، ويزيغُ الله لهمْ قُلوبَ أقوامٍ ، ويرزُقُهم منهم حتى تقوم السَّاعة ، ويأتي وعدُ الله ، والخَيْلُ معقودٌ في نواصيها الخَيْرُ إلى يومِ القيامة ، وعُقرُ دارِ المؤمنين بالشام» متفق عليه . وهذا فيه تصريح : أن الطائفة المنصورة بالشام .

● فيها الطائفة المنصورة :

●●● عن معاوية بن أبي سفيان قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «لا تَزَالُ طائفة منْ أُمَّتي أمّة قائمة بأمر الله ، لا يَضُرّهم من كَذَّبَهُم ، ولا مَن خَذَلهمْ حَتى يَأتيِ أَمْرُ اللهِ وهُم عَلى ذلكَ» متفق عليه . قال مالك بن يخامر :

سمعت معاذاً يقول :«وهُم بالشَّام» .

وفي رواية أخرى صحيحة : «لا تزال طَائفَة من أمَّتي يقاتلونَ على الحَق ظَاهرينَ على من ناوأهُمْ حَتَّى يقاتلَ آخرهم المَسيحَ الدجال» . ومن المعلوم أن عيسى بن مريم ﷺ يدرك المسيح الدجال بباب لد بفلسطين فيقتله .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – في مجموع الفتاوى " :[449/4]والنبي ﷺ ميَّز أهل الشام بالقيام بأمر الله دائماً إلى آخر الدهر ، وبأن الطائفة المنصورة فيهم إلى آخر الدهر ، فهو إخبار عن أمر دائم مستمر فيهم مع الكثرة والقوة ، وهذا الوصف ليس لغير أهل الشام من أرض الإسلام ، فإن الحجاز التي هي أصل الإيمان نقص في آخر الزمان منها : العلم والإيمان والنصر والجهاد ، وكذلك اليمن والعراق والمشرق ، وأما الشام فلم يزل فيها العلم والإيمان ومن يقاتل عليه منصوراً مؤيداً في كل وقت» .

● الملائكة باسطو أجنحتها على الشام :

عن زيد بن ثابت رضي الله عنه ، قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : «طُوبَي للشام ، طُوبَي للشام » ، قلت : ما بال الشام؟ قال :« الملائكَةُ باسطُو أجْنحَتها على الشام» رواه الترمذي وصححه الألباني .

● الإيمان إذا وقعت الفتن في الشام :

عن عبد الله بن عمرو بن العاص – رضي الله عنهما – ، قال : قال رسول الله ﷺ : «إنِّي رأيتُ عمود الكتاب انتزعُ من تحْت وسَادتي ، فَنَظرتُ ؛ فإذا هو نور ساطع عُمِد به إلى الشَّام ، ألا إنّ الإيمان إذا وقَعَت الفتَن بالشام» رواه الإمام أحمد وصححه الألباني .

ميَّز الله أهل الشام بالقيام بأمره دائماً إلى آخر الدهر، وبأن الطائفة المنصورة فيهم إلى آخر الدهر

●●●

● لا خير في المسلمين إذا فسد أهل الشام :

عن معاوية رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : «إذا فسد أهل الشام ، فلا خير فيكم ، لا تزال طائفة من أمتي منصورين لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة» رواه الإمام أحمد وصححه الألباني ؛ فنفي الخيريّة عن الأمة عند فساد أهل الأرض المقدسة ، فلا بدَّ من الإيمان والعمل الصالح والجهاد في سبيله ، فما أجمل اجتماع قداسة المكان مع قداسة العمل .

● دعاء الرسول ﷺ لأهل الشام :

عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله ﷺ :«اللهم بارك لنا في شامنا ، اللهم بارك لنا في يمننا» قالوا : وفي نجدنا؟ قال : «اللهم بارك لنا في شامنا ، اللهم بارك لنا في يمننا» قالوا : يا رسول الله : وفي نجدنا ؟ يريدون أن يدعوا النبي لأهل نجد ، فما دعا لهم - البتة - ، قال «هنالك الزلازل والفتن ، وبها يطلُع قرنُ الشيطانِ» .

الشام أرض المحشر والمنشر والأرض المباركة، وخيرة الله من أرضه، وأرض الرباط والجهاد، ومحل حزب الله من عباده الموحدين

● فسطاط المسلمين يوم الملحمة في دمشق في الشام :

فعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ :« يَوْمُ الْمَلْحَمَةِ الكبرى فُسْطَاطَ المسلمين بأرض يقال لها : الغوطة ، فيها مدينة يقال لها : دمشق ؛ خيرُ منازلِ المسلمين يومئذٍ» .

● في الشام أرض المحشر والمنشر :

●●● من حديث أبي ذر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :« الشام أرض المحشر والمنشر» ؛ فأرض الشام : هي الأرض المقدسة ، والأرض

المباركة ، وخيرة الله من أرضه ، وأرض الرباط والجهاد ، ومحل حزب الله من عباده ، وهم الطائفة المنصورة : أهل الحديث والعلم بالآثار ، ومن تبعهم بإحسان : اقتداء بمنهج السلف الصالح - رضوان الله عليهم - عقيدة ومنهجاً وسلوكاً وتربية .

● بلاد الشام حاضرة الخلافة الإسلامية في آخر الزمان :

عن أبي حوالة الأزدي رضي الله عنه قال : وضع رسول الله ﷺ يده على رأسي أو على هامتي ثم قال : «يا ابن حوالة : إذا رأيت الخلافة قد نزلت الأرض المقدسة ، فقد دنت الزلازل والبلايا والأمور العظام والساعة يومئذ أقرب إلى الناس من يدي هذه من رأسك» . صحيح الجامع .

من أحق الناس بعمارة الأرض المباركة

المسلمون الموحدون أحق الناس بعمارة الأرض المباركة، والشام ثغر من ثغور المسلمين وبلد جهاد إلى قيام الساعة

المسلمون الموحدون أحق الناس بعمارة الأرض المباركة ، والشام ثغر من ثغور المسلمين وبلد جهاد إلى قيام الساعة لأن أعداء الله لن يكفوا عنها ، فكان الترغيب للسكنى فيها ، والرباط ، والدعوة إلى التوحيد ومؤازرة من فيها من أهل الحق عنواناً مهماً في حياة المسلم .

ولأنها حلبة الصراع بين الحق والكفر ، فهي مركز قيادة الناس إلى الخير الذي بشر به النبي ﷺ بقوله : «إذا فسد أهل الشام فلا خير فيكم ، ولا تزال طائفة من أمتي منصورين لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة» .

ولما عرَّف أئمة الحديث الكبار - رحمهم الله - الطائفة المنصورة قالوا : هم أهل العلم بالآثار ومن تبعهم اقتداء بالسلف الصالح رضوان الله عنهم عقيدة ومنهجاً ، يقصدون بذلك من كان على علم في الحديث والأثر وعلى منهاج النبوة .

●●●

عسقلان ثغر مهم من ثغور الشام

أخرج الطبراني في «المعجم الكبير» وهو في «الصحيحة / 3270» عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : «أول هذا الأمر نبوة ورحمة ، ثم يكون خلافة ورحمة ، ثم يكون ملكاً ورحمة ، ثم يتكادمون عليه تكادم الحمر ، فعليكم بالجهاد ، وإن أفضل جهادكم الرباط ، وإن أفضل رباطكم عسقلان» .

وعسقلان عرفت منذ أقدم العصور التاريخية ، ووصفت بعروس الشام من جند فلسطين ، جاء في «موسوعة المدن الفلسطينية» : «وتعتبر عسقلان مدينة ساحلية ذات شأن اقتصادي على مدى تاريخها الطويل ، ويعود ذلك إلى مينائها البحري وموقعها الاستراتيجي القريب من الحدود المصرية ـ الفلسطينية ، ومواجهتها للقادمين من البحر تجاراً كانوا أم غزاة ، وكانت عرضة للسيطرة عليها في التاريخ القديم ، ولم يعرف جيش حاول فتح فلسطين لم يحاول السيطرة على عسقلان ، ولم يحدث أن فتحت فلسطين من الجنوب إلا بعد فتح عسقلان ، ولم تقل أهمية عسقلان في كل عهود الحكم الإسلامي» .

عسقلان عرفت منذ أقدم العصور التاريخية، ووصفت بعروس الشام من جند فلسطين

●●●

وهذا الحديث من أعلام ودلائل نبوته ﷺ ففيه : «ثم يتكادمون عليه تكادم الحمر» إشارة إلى الحال الذي سيصل بالمسلمين ، وأنهم يتنازعون السلطة ، بسبب التفرق والاختلاف ، ومن ثم كان قوله : «وإن أفضل رباطكم عسقلان» إشارة إلى أفضل الرباط على اعتبار أن هذا الرباط في بلاد الشام ، وبلاد الشام مطمع الكفار ، ومن تتبع تاريخ بلاد الشام منذ القدم يرى أهمية موقعها الاستراتيجي الذي كان هدف الغزاة الأول للنفاذ إلى فلسطين ، فالسيطرة عليها كان يعني التحكم في الطرق المؤدية إلى

معظم أنحاء فلسطين شمالاً وجنوباً وشرقاً ، يضاف إلى ذلك التحكم منها في حركة المواصلات البحرية .

بلاد الشام مستقبل الإسلام

عن حذيفة -رضي الله عنه- قال : قال رسول الله -ﷺ- : «تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون ، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها ، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة ، فتكون ما شاء الله أن تكون ، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها ، ثم تكون ملكاً عاضاً ، فتكون ما شاء الله أن تكون ، ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها ، ثم تكون ملكاً جبريّاً ، فتكون ما شاء الله أن تكون ، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها ، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة ، ثم سكت» . أخرجه أحمد والطيالسي بإسناد حسن .

* ووجه الدلالة : أن مستقبل الإسلام يتحقق بإعادة الخلافة الراشدة على منهاج النبوة ، فمن حقق الخلافة الراشدة التي كانت بعد النبوة؟ أليس السلف الصالح من الصحابة ومن تبعهم بإحسان؟ فالذي يعيد الخلافة الراشدة في آخر الزمان هم من كان على منهج السلف الصالح من الصحابة ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

الذي يعيد الخلافة الراشدة في آخر الزمان هم من كان على منهج السلف الصالح من الصحابة ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين

وفي حديث أبي أمامة -رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال : «إن الله استقبل بي الشام ، وولى ظهري اليمن ، ثم قال : يا محمد ! إني قد جعلت لك ما تجاهك غنيمة ورزقاً ، وما خلف ظهرك مداداً ، ولا يزال الله يزيد -أو قال : يعزز الإسلام وأهله ، وينقص الشرك وأهله ، حتى يسير الراكب بين كذا - يعني البحرين - لا يخشى إلا جوراً ، وليبلغنَّ هذا الأمر مبلغ الليل» .

●●●

صحيح الجامع الصغير/ 1716

العاقبة للمتقين طال الزمان أو قَصُر :

من سنن الله تعالى أن تكون العاقبة للمتقين طال الزمان أو قصر ، فالنصر والتمكين لدين الله قادم لا محالة بنا أو بغيرنا قال تعالى : ﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون﴾ .

ولكن حين يتخلى أهل الإيمان عن إيمانهم فإن سنة أخرى هي التي ستحكم هؤلاء المتراجعين : ﴿وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾ (محمد : من الآية38) .

ولا شك أن قتال اليهود حادث ولا ريب ، وسيقضي المسلمون المجاهدون على الدجال ومن معه من اليهود جميعاً ، وتستريح البشرية جمعاء من شرور اليهود وأطماعهم وإفسادهم . .

ولكن على يد مَنْ مِنَ المجاهدين سيقتل اليهود ومعهم الدجال؟

قتال اليهود حادث ولا ريب، وسيقضي المسلمون المجاهدون على الدجال ومن معه من اليهود جميعاً

●●●

والإجابة في الحديث الذي رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :«لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود ، فيقتلهم المسلمون ، حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر ، فيقول الحجر أو الشجر : يا مسلم يا عبد الله ! هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله ، إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود» ؛ فحربنا من اليهود مستمرة والتي بدأت منذ بعثة الرسول ﷺ . .

وسوف تستمر حتى خروج الدجال ، ونزول عيسى عليه السلام ، والقضاء على آخر يهودي وستبقى بقية أهل الإيمان على الأرض المقدسة وبلاد الشام تنافح عن الحق وعن الإسلام ضد الباطل وأهله إلى أن تقاتل هذه الفئة الدجال في آخر الزمان .

ولكن على يد مَن يعود المسجد الأقصى وما سلب من بلاد الشام ؟

لقد وعد الله تعالى المؤمنين بأن ينصرهم على عدوه وعدوهم وإن طال الزمان بنظر المؤمنين أو قصر ، وربط الرسول ﷺ الأرض المقدسة بأصلها الأصيل وهو الإسلام ، فهو مستقبلها وبه حياتها ، ولن يتم لها أمر ، أو يعلو لها شأن إلا من خلال هذا الدين وأهله المصلين الموحدين المؤدين فرائضه ، والمجتنبين معاصيه ، فالنصر موعود الله سبحانه وتعالى للجباه الساجدة ، والقلوب الموحدة ، والأيدي المتوضئة ، قال تعالى : ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (النور :55)

والنصر لا يكون بالتمني والأماني والركون إلى الدنيا إنما النصر بالجهد والجهاد وبتحقيق التوحيد لله تعالى ﴿يعبدونني لا يشركون بي شيئاً﴾ فلا يتنزل النصر مع الإشراك بالله تعالى ، وبهذا نعلم مقدار بعد الأمة الإسلامية عن النصر وأسبابه ، وذلك لشيوع أسباب الشرك ومظاهره وغلبة الهوى والجهل ، وظهور الفرق الضالة في الأمة وتمكنها في بلاد الشام ، ومتابعة جماهير المسلمين اليوم لهذه الضلالات - إلا ما رحم الله - والتي أبعدتهم عن الجادة والنهج القويم .

ربط الرسول ﷺ الأرض المقدسة بأصلها الأصيل وهو الإسلام، فهو مستقبلها وبه حياتها، ولن يتم لها أمر، أو يعلو لها شأن إلا من خلال هذا الدين

● فالعودة إلى الإسلام هو الطريق لإنقاذ فلسطين والمسجد الأقصى السليب ، وبتمسكنا بالإسلام ترجع إلينا إن شاء الله مقدساتنا التي اغتصبت في بيت المقدس ، وديارنا السليبة في جميع أنحاء الأرض ويتحقق لنا شرط التمكين والنصر قال تعالى : ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾

●●●

(الحج :41) ؛ وتكون بهذا العاقبة للمتقين والنصر للمؤمنين .

كلمات نفيسة

وأختم ما جمعت بكلمات لفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين -رحمه الله تعالى - في تبيان الطريق إلى النصر والتمكين : «أيها المسلمون إن نصر الله عز وجل لا يكون إلا بالإخلاص له ، والتمسك بدينه ظاهراً وباطناً ، والاستعانة بالله وإعداد القدرة المعنوية والحسية بكل ما نستطيع ثم القتال لتكون كلمة الله هي العليا ، وتطهر بيوته من رجس أعدائه ، أما أن نحاول طرد أعدائنا من ديارنا ، ثم نسكنهم قلوبنا بالميل إلى منحرف أفكارهم ، والتلطخ بسافل أخلاقهم ، فالنصر مشروط بما شرطه الله عز وجل ، استمعوا إلى قول الله تعالى : ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ * الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ (الحج :40-41) .

نصر الله عز وجل لا يكون إلا بالإخلاص له، والتمسك بدينه ظاهراً وباطناً، والاستعانة بالله وإعداد القدرة المعنوية والحسية

● هؤلاء هم الذين يستحقون النصر ، الذين يوقنون بقلوبهم ويقولون بأفواههم إن مكنهم الله في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور ، ﴿إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾(لأعراف : 128) ، ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ * إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ﴾ (الانبياء : 105-106) .

والحمد لله رب العالمين ، ، ،

●●●